الحركة الوطنية بعد حرب فلسطين

أسباب حل جماعة الإخوان المسلمين

الحركة الوطنية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تضاءلت فيها الروح التي تميزت بها ثورة ١٩١٩ فظهرت متخاذلة متثاقلة منحصرة في فئة قليلة من الشباب فقدوا النظام الذي عُرف به أسلافهم كما فقدوا التوجيه والإرشاد الضروريين لنجاح كل حركة وطنية ومن ثم ساورت بعض الرءوس لوثة عصبية أفسدت عليهم التفكير السليم وأوحت إليهم ارتكاب جرائم القتل والتخريب ، وجاءت حرب فلسطين فكان لها أثرها في إشاعة روح القتل والتدمير فإن الشباب الذين تطوعوا في هذه الحرب واعتادوا حياة القتل والقتال وألفوا دوي الرصاص والمدافع والقنابل عادوا من الميدان وقد أُشْرِبوا روح العنف.

وكان لحوادث القتل والتدمير التي ارتكبها اليهود في فلسطين ضد الإنجليز أثر كبير في التحريض على مثل هذه الجرائم عن طريق التقليد في الكفاح . ومما زاد في تفاقم موجة القتل والإجرام أن العنصر الإرهابي من جماعة الإخوان المسلمين اعتنقها وعدَّها وسيلة لقلب نظام الحكم في البلاد . [1]

لذا أصدر النقراشي بصفته حاكماً عسكريّاً أمراً عسكريّاً يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ بحل جماعة الإخوان المسلمين وشُعَبِها وغلق الأمكنة المخصصة لنشاطها وضبط

---

(١) عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " الجزء الثالث مرجع سابق ص ٢٦٣، ٢٦٤.

أوراقها ووثائقها وسجلاتها ومطبوعاتها وأموالها ،وكافة الأشياء المملوكة لها، وجاء في حيثيات حل جماعة الإخوان المسلمين.

" إن هذه الجماعة أمعنت في نشاطها واتخذت الإجرام وسيلة لتنفيذ مراميها وعمدت إلى طرق شتى يسودها طابع العنف فدربت أفراداً من شبابها أطلقت عليهم اسم " الجوَّالة " وأنشأت لهم مراكز رياضية تقوم بتدريبات عسكرية مستترة وراء الرياضة ، كما أخذت تجمع الأسلحة والقنابل والمفرقعات وتخزنها لتستعملها في الوقت الذي تتخيره وساعدها على ذلك ما كانت تقوم به بعض الهيئات من جمع الأسلحة والعتاد بمناسبة قضية فلسطين وأنها انغمست في النضال السياسي " وانتهت المذكرة إلى القول بأنه يتبين من استعراض الحوادث التي عددتها أن جماعة الإخوان المسلمين قد أمعنت في شرورها بحيث أصبح وجودها يهدد الأمن العام والنظام تهديداً بالغ الخطر وأنه بات من الضروري اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هذه الجماعة التي تروِّع أمن البلاد . [1]

حرب فلسطين والعنف البيني

والحقيقة أن جماعة الإخوان المسلمين لم تكن وحدها التي لجأت للعنف والإرهاب بل إن كل التنظيمات والجماعات في تلك الفترة اتسمت بالعنف ومحاولة تصفية خصومهم فقد " اجتاحت البلاد في أعقاب الحرب العالمية الثانية موجة من القتل والإرهاب والإجرام بدأت بمقتل الدكتور أحمد ماهر في فبراير ١٩٤٥ ، ثم أخذت تتطور وتتنوع مظاهرها حتى أوائل سنة ١٩٤٩، ولقد ساعد على استفحال روح العنف تمجيد هذه الجرائم على لسان المحامين المدافعين عن

---

(١) نفسه ص ٢٧٠.

المتهمين فيها وإفساح المحاكم صدرها أحياناً لسماع عبارات التحبيذ والتمجيد مع إباحة نشرها وإذاعتها وجنوحها في بعض المحاكمات إلى الاسترسال فيها وصدور أحكام مخففة في بعض جرائم القتل بدت كأنها تحرض على ارتكابها ، وأخص بالذكر مقتل أمين عثمان سنة ١٩٤٦ ومحاكمة قتلة أحمد الخازندار سنة ١٩٤٨.

وجاءت حرب فلسطين فكان لها أثرها في إشاعة روح التدمير والقتل .. وتعدد حوادث إلقاء القنابل في سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٧ ، وأخطرها وضع قنبلة شديدة الفتك في دار سينما مترو يوم ٦ مايو ١٩٤٧ انفجرت أثناء ازدحام الدار بروادها فكان لانفجارها دويٌّ فظيع وأودى بحياة خمسة من النظارة (المشاهدين) وأصيب كثيرون من الانفجار .. وتكررت في الإسكندرية في سنة ١٩٤٦ حوادث إلقاء القنابل على الجنود البريطانيين ، ومقتل النقراشي سنة ١٩٤٨ واعترف القاتل أنه من الإخوان المسلمين. [1]

يقول د. يونان لبيب رزق : " الانفجاريات كانت تدل على القلق الشديد والجماعات ذات الأفكار الأيديولوجية نتيجة لإغلاق منافذ التعبير عن نفسها أمامها كالإخوان والشيوعيين وحتى " مصر الفتاة " الذين كانوا يسمونه بالأحزاب غير البرلمانية كانت ثائرة من داخلها " [٢]

فاروق يخشى الإخوان أكثر من اليهود

أما رأي الإخوان المسلمين في قرار حل جماعتهم فيردونه إلى " أن الملك فاروق كان ينظر بعين الريبة إلى الإخوان المسلمين ويخشى أن يؤلفوا جيشاً في

---

(1) عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " الجزء الثالث مرجع سابق ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(2) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو شهادة ١٢٢ من صانعيها ومعاصريها " مرجع سابق ص ١٩.

فلسطين يكون خطراً على عرشه ، حقاً لقد كان الإخوان المسلمين خطراً على إسرائيل وقد فهم اليهود ذلك حق الفهم في ميدان القتال فأوحى اليهود إلى الإنجليز الذين أوحوا إلى الملك فاروق وأدخلوا في روعه أن استمرار الإخوان في جهادهم في فلسطين والنشاط الذي يجريه حسن البنا في مصر لتجهيز قوات إخوانية كثيفة ليدخل بها فلسطين وإيقاظه روح الجهاد الديني في الشعب المصري سيصبح خطراً على عرش فاروق فأمر الملك فاروق رئيس وزرائه محمود فهمي النقراشي باتخاذ الإجراءات اللازمة للبطش بجماعة الإخوان المسلمين .. ولو أدَّى ذلك إلى تعريض جيش مصر في فلسطين لأفدح الأخطار وتعريض الأرض التي اكتسبها بدمائه إلى الضياع وتسليمها لليهود بلا قتال إذ أصدر النقراشي رئيس الوزراء أوامره المشددة إلى اللواء فؤاد صادق قائد حملة فلسطين الجديد بسحب قوات الإخوان من مواقعهم وسحب أسلحتهم واعتقالهم وإرسالهم كأسرى حرب إلى المعتقلات في مصر ولكن اللواء صادق رفض بشدة اعتقال هؤلاء المجاهدين واكتفى بسحبهم من مواقعهم وإبقائهم في معسكر بمنطقة رفح المصرية ومعهم أسلحتهم.

وفي الوقت الذي كان فيه حسن البنا يعد قوات كثيفة ليدخل بها فلسطين كان النقراشي يرتكب أبشع حماقة يمكن أن تصدر من رجل دولة مسئول في حالة حرب ولم تلبث الأنباء أن جاءت بقيام المذبحة فسيق زعماء الإخوان إلى المعتقلات، وليلة ٧ / ١٢ / ١٩٤٨ حوصر معسكر الإخوان برفح بقوات كبيرة من الجيش المصري وحضر اللواء البرديني ومعه عدد من ضباط البوليس الحربي.

وأرسل حسن البنا خطابا سريّاً مع أحد الإخوان يأمر فيه الإخوان أن يتحملوا المحنة وأن يسلموا أكتافهم للسعديين (حكومة النقراشي) ليقتلوا ويشردوا كيف

شاءوا حرصاً على مصلحة شعب مصر وإبقاء على وحدة الأمة وتفادياً لنشوب حرب أهلية لا يستفيد منها سوى أعداء الإسلام.

وصدع الإخوان بالأمر وتحملوا مصائب المحنة بصبر وجلد ومضى السعديون في خطتهم الطائشة يعتقلون ويذبحون حتى بات أي فرد في مصر تحت رحمة البوليس السياسي.

وكان طبيعيّاً أن تبرر الحكومة ذلك فأخذت وسائل الإعلام التابعة لها تشيع أنباء مختلفة عن مؤامرات وهمية تُدبَّر في الخفاء لقلب نظام الحكم وطفحت الصحف الحكومية بتفاصيل هذه المؤامرة الوهمية ولم يُسمَح للإخوان بالدفاع عن أنفسهم وفرض التعتيم الإعلامي التام لكيلا يعرف شعب مصر الحقيقة . [1]

وعن هذه مؤامرة الإخوان لقلب نظام الحكم يقول أحد أفراد النظام الخاص للإخوان حينئذ : " حصل الإخوان بتوسط من الجامعة العربية والهيئة العربية العليا لدى وزارة النقراشي على تصريح بجمع السلاح من صحراء مصر الغربية حيث كانت بقايا معارك الحرب العالمية الثانية مازالت متناثرة حيث دارت ، غير أن النقراشي ما لبث أن سحب التصريح .ولم يكن بوسع الإخوان إذ سحب التصريح أن يمتنعوا عن جمع السلاح بعد أن صار لهم في فلسطين ألفان من المتطوعين لهم وجودهم الفعلي ، واستمرت حركة الجمع ، وكان إخواننا الذين يجوبون الصحراء وراء السلاح يشاهدون اليهود يفعلون نفس الشيء من صحرائنا .. وقع انفجار بمبنى كان ملحقاً بالمركز العام للإخوان المسلمين بفعل بعض الألغام التي تآكلت أجهزة الأمان بها . أرادت تقارير البوليس وقتها أن تذهب إلى أن اليهود

([1]) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار و الإخوان المسلمون " مرجع سابق ص ٥٩-٦٢ بتصرف .

فعلوها رداً على نسف حارتهم ، ولكن الأستاذ البنا أعلنها صراحة ، إنها مفرقعاتنا التي نقوم بإعدادها لإخواننا المتطوعين في حرب فلسطين . ولقد أراد بهذا الإعلان عن أننا مازلنا نجمع السلاح ونصلحه ونرممه بعد سحب الترخيص حتى لا يهاجمنا بعد ذلك أحد بدعوى أن في يدنا سلاح ، ومع ذلك شهدنا تلك البجاحة بعد ذلك حين عرضت قضايانا على القضاء بتهمة جمع السلاح للعمل على قلب نظام الحكم.

ويظهر هذا الكتاب بعد سقوط الملك والملكية بأربعة وثلاثين عاماً [1] فلا يضيرنا أبداً أن نفاخر بأن ذلك السلاح كان لقلب حكم فاسد انقلب فعلاً ، ولكن ذلك يجافي الحقيقة ، وقد تكرر ذلك الزعم بعد ذلك أيام جمال عبد الناصر مزاعم أيضاً تجافي الحقيقة لتبرر مذابح دبرها للتخلص من الجماعة ثم ليصير جباراً في الأرض "[2]

الحاكم المستبد وتأمين النظام

إن الحاكم المستبد حريص غاية الحرص على تأمين نظامه حتى لو أدى به حرصه هذا إلى محاربة معارضيه في الداخل والخضوع لأعداء الأمة في الخارج والداخل.

لقد كان حرص الملك فاروق على استتباب الحكم له أكثر من حرصه على قتال اليهود الصهاينة في فلسطين لذا عمد إلى سحب المتطوعين من جماعة الإخوان المسلمين الذين كانوا يقاتلون الصهاينة بشجاعة نادرة ، والزج بهم في المعتقلات المصرية مؤثراً مصلحته الخاصة في البقاء على العرش على مصلحة

([1]) الطبعة الأولى لهذا الكتاب كانت عام ١٩٨٧ .

([2]) أحمد عادل كمال " النقط فوق الحروف ، الإخوان المسلمون والنظام الخاص " الزهراء للإعلام العربي ص ١٨٧ ، ١٨٨

الأمة في القضاء على أعدائها رغم أن تهديد الإخوان المسلمين لعرشه كانت شكوكاً لا يقين فيها في مقابل أن تهديد اليهود للأمة العربية كان حقائق لا ريب فيها !!

وكما أن الحرب العالمية الأولى أسفرت عن النظم العسكرية الدكتاتورية .[1] فإن حرب فلسطين أسفرت عن نُظُم عربية عسكرية ديكتاتورية كذلك .

***

(1) فقد ظهر النظام الفاشستي في إيطاليا بزعامة موسوليني وظهر في المجر ، وفي أسبانيا وفي بولندا وفي البرتغال ، وفي ألمانيا ظهر الحزب النازي بزعامة هتلر ، وكان من شأن هذه النُظُم إثارة التوتر والصراع ثم جر العالم إلى الحرب